

رَأْيَاتُنَا  
كِرِيْسِيْتِي

# عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ

(لِلتَّصْفِحِ وَالْإِطْلَاعِ)

لِمَاذَا لَمْ يَسْأَلُوا إِيْفَانْزَ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أغاثا كريستي

## لماذا لم يسألوا إيفانز؟

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٤

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: مَيّ العاني

تحرير: رمزي رامز حسّون



للترجمة  
والنشر  
الأجّال

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي  
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٤ بعنوان

## Why Didn't They Ask Evans?

Copyright Agatha Christie Mallowan 1934

حقوق الطبع محفوظة للناشر:  
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب  
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية  
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers  
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الأولى

٢٠٢٠

## الفصل الأول

### الحادثة

وضع بوبي جونز كرة الغولف على الحامل الصغير، ثم تهادى في مشيته قليلاً ورفع مضرب الغولف إلى الوراء ببطء، ثم أنزله ضارباً الكرة بسرعة البرق.

هل طارت الكرة في الهواء بنخط مستقيم وحلقت لتهبط بضربة سهلة داخل الحقل الرابع عشر من أرض الملعب؟ لا، لم تهبط هناك؛ لقد ارتفعت في الهواء بصورة شوهاء، وانطلقت على طول الملعب ثم طمرت نفسها في الرمل بقوة.

لم يكن هناك حشد من المشاهدين المتلهّفين ليعبروا عن الاستياء، ولم يُظهر الشاهد الوحيد أيّ دهشة. وهذا الأمر سهلاً تفسيره، لأن الذي ضرب الكرة لم يكن أحدَ كبار لاعبي الغولف في العالم، بل مجرد الابن الرابع لكاهن مارشبولت (وهي بلدة ساحلية صغيرة على شاطئ ويلز).

كان بوبي شاباً لطيف المنظر في الثامنة والعشرين من عمره تقريباً، ولم يستطع أفضل أصدقائه أن يزعم أنه كان شاباً وسيماً، ولكن وجهه كان جديراً بأن ينال الإعجاب، وكانت عيناه البنيتان تنطقان بالأمانة والألفة.

همس مكتئباً: لعبي يسوء يوماً بعد يوم.

فقال رفيقه: إنك تستعجل!

كان الدكتور ثوماس رجلاً متوسط العمر ذا شعر أشيب ووجه أحمر مبهج، وهو نفسه لم يكن يضرب ضربات طويلة، بل كان يلعب ضربات قصيرة مستقيمة في مسار وسطي، وعادة ما كان يهزم لاعبين أكثر منه مهارة ولكنهم أكثر اضطراباً.

ضرب بوبي كرتة بعنف بمضرب ذي رأس حديدي، وكانت المرة الثالثة ناجحة، فقد سقطت الكرة قريباً من المنطقة العشبية التي وصلها الدكتور ثوماس بضربتين قويتين مشرفتين.

قال بوبي: تفضل، حفرتك.

ثم تابعا إلى المرتفع الذي يليه، حيث ضرب الدكتور الكرة أولاً. كانت ضربة مستقيمة جميلة ولكنها لم تقطع مسافة بعيدة. تنهّد بوبي ووضع كرتة فوق الحامل، ثم رفعها ووضعها مرة ثانية، وهزّ مضربه لوقت طويل وأرجعه إلى الخلف بقوة، وأغلق عينيه ورفع رأسه وخفض كتفه الأيمن، ثم ضرب ضربة عنيفة أوصلت كرتة إلى منتصف الملعب. فسحب نفساً طويلاً راضياً، وتحول العبوس المعروف جيداً على وجه لاعب الغولف إلى تهلل وفرح معروفين أيضاً. وقال بوبي ببعض الادعاء: إنني أعرف الآن ما كنت أفعله.

بضربة قوية وبدفعة صغيرة من عصا الغولف صار بوبي متقدماً. لقد حقق ضربة ناجحة، وكان الدكتور ثوماس أقل منه بوحدة. ثم خطا إلى الأمام إلى الحامل السادس عشر وهو يشعر

بنقطة كبيرة. ومرة أخرى صنع ما كان يجب أن لا يصنعه، وهذه المرة لم تحدث معجزة. الذي حدث هو ضربة انحرافية رائعة جميلة قوية! وذهبت الكرة في زاوية نحو اليمين.

قال الدكتور ثوماس: آه، لو أن هذه الضربة كانت مستقيمة!

فقال بوبي بمرارة: لو! لكن أظن أنني سمعت صرخة! أرجو ألا تكون الكرة قد ضربت أحداً.

حذق بنظره ناحية اليمين، ولكن كانت الرؤية عسيرة، فقد كانت الشمس على وشك الغروب وكان النظر باتجاهها يجعل من الصعب رؤية أي شيء بوضوح، كما كان هناك ضباب خفيف يرتفع من البحر، حيث كانت حافة المنحدر الصخري تبعد بضعة مئات من الأمتار فحسب.

قال بوبي: إن ممر المشاة يصل إلى هناك، ولكن لم يكن ممكناً أن تقطع الكرة تلك المسافة. مع ذلك أظن أنني سمعت صرخة، ألم تسمعها أنت؟

لكن الدكتور لم يكن قد سمع شيئاً، فذهب بوبي بحثاً عن كرتة. وقد وجد بعض الصعوبة في العثور عليها، لكنه اكتشف مكانها أخيراً؛ كانت مطمورة في شجيرة وغير قابلة للتحريك. حاول ضربها بمضربه مرتين، ثم التقطها ونادى رفيقه قائلاً إنه قد استسلم وتنازل عن تلك الحفرة.

جاء الدكتور إليه، حيث إن الحامل التالي كان على حافة المنحدر الصخري مباشرة. كانت النقطة السابعة عشرة هي «ببع» بوبي الرئيسي، فهناك يجب ضرب الكرة لتجتاز فجوة، وفي

الحقيقة لم تكن المسافة طويلة ولكن انحدار الحافة كان شديداً.

عبراً ممر المشاة الذي كان ينعطف في تلك النقطة إلى الداخل قادماً من الصخور على يسارهما ثم يلتف حول حافة المنحدر الصخري، واختار الدكتور مضربه ونجح بإسقاط الكرة على الجانب الآخر. ثم استنشق بوبي نفساً عميقاً وضرب الكرة، فاندفعت إلى الأمام واختفت فوق حافة المنحدر الصخري. قال بمرارة: إنني أكرر هذه الحماقة نفسها في كل مرة.

مشى فوق الطريق المُلتفّ ونظر إلى الأسفل. كان البحر يتلألأ على مسافة بعيدة تحته، ولكن لم تكن كل كرة لتضيع في أعماقه. كان الانحدار من الأعلى إلى البحر حاداً جداً، فسار بوبي فوق الحافة ببطء، وكان يعرف هناك مكاناً واحداً يمكن النزول منه بسهولة، فقد كان مساعدو لاعبي الغولف يفعلون ذلك مندفعين فوق الحافة، ثم يعودون منتصرين لاهئين ومعهم الكرة الضائعة.

وفجأة تصلب بوبي ونادى زميله: تعال هنا يا دكتور... ماذا تفهم من هذا؟

على بُعد بضعة عشر متراً إلى الأسفل ظهرت كومة سوداء من شيء يبدو وكأنه ملابس قديمة، فحبس الطبيب أنفاسه وقال: يا إلهي! لقد سقط أحدهم عن المنحدر الصخري. يجب أن ننزل إليه.

نزل الرجلان جنباً إلى جنب حتى أسفل الصخور، وكان بوبي الرياضي يساعد رفيقه، وفي النهاية وصلا إلى الكومة السوداء المشؤومة. كان رجلاً في نحو الأربعين من عمره، وكان ما يزال يتنفس رغم أنه كان فاقداً للوعي.

فحصه الدكتور وتحسس أطرافه ونبضه، ثم أطبق جفني عينيهِ وجثا على ركبته بجانبه وأكمل فحصه، ثم رفع بصره إلى بوبي الذي كان يقف بجواره وهو يشعر بالغثيان، وحرك رأسه ببطء قائلاً: لا شيء نستطيع عمله، لقد انتهى أجله. يا له من رجل مسكين! لقد كُسر ظهره. أظن أن هذا الطريق لم يكن مألوفاً بالنسبة له، ولعله تخطى الحافة عندما حجبتها الضباب. لقد أخبرتُ المجلس البلدي أكثر من مرة بضرورة تثبيت حاجز عند هذه الحافة.

ثم وقف قائلاً: سأنتقل وأطلب المساعدة وأجهز ما ينبغي لرفع الجثة، فسوف يحل الظلام قبل أن نعرف أين نحن. هل ستبقى هنا؟

أوماً بوبي برأسه موافقاً وسأل: أظن أنه لا يمكننا عمل شيء له، أليس كذلك؟

حرك الدكتور رأسه مؤكداً وقال: لا شيء؛ لن يطول الأمر. إن نبضه يضعف بسرعة. قد يعيش عشرين دقيقة أخرى وقد يستعيد وعيه قبل النهاية، ولكن الأرجح أنه لن يستعيده. ومع ذلك...

قال بوبي بسرعة: نعم، سأبقى، اذهب أنت. ثم تردد وهو يقول: إذا أفاق من الإغماء فهل يوجد دواء أو أي شيء...؟

هزّ الدكتور رأسه وقال: لن يشعر بأي ألم، لا ألم على الإطلاق.

ثم استدار مبتعداً وبدأ يتسلق الصخور بسرعة، وراقبه بوبي حتى اختفى فوق القمة وهو يلوّح بيده، ثم تحرك بضع خطوات فوق الصخور الضيقة وجلس فوق نتوء صخري. لقد هزّته هذه الحادثة كثيراً، فهو لم يصادف حادثاً فيه مريض أو ميت قبل الآن.

فكر: أيّ حظ سيّئ هذا! دوّامة من الضباب في أمسية جميلة، وبمجرد خطوة واحدة عائرة تكون نهاية الحياة. كان الرجل في كامل صحته ومن المحتمل أنه لم يعرف المرض في حياته قط. لم يستطع الشحوب المصاحب لاقتراب الموت أن يُخفي لونه الأسمر. يبدو أنه عاش حياته تحت أشعة الشمس، ربما في الخارج.

فحصه بوبي عن قرب أكثر: الشعر الكستنائي المتجدد يتخلله بعض الشيب على صدغيه، الأنف الكبير، الفك القوي، الأسنان البيضاء الظاهرة من خلال الشفتين المنفرجتين. ثم الكتفان العريضان واليدان القويتان الرشيقتان. كانت الساقان ملتفتين بزاوية غريبة، فارتعد بوبي ورفع بصره إلى الوجه مرة ثانية. إنه وجه جذاب ظريف، وفكر أن العينين ربما كانتا زرقاوين.

بمجرد أن وصل إلى تلك النقطة في تفكيره فتح الرجل عينيه فجأة. فعلاً كانت العينان زرقاوين، زرقة صافية عميقة! نظرتا مباشرة إلى بوبي، ولم يكن فيهما شيء غامض أو متردد. بدت العينان في كامل وعيهما، تراقبان وتسالان سؤالاً في الوقت ذاته.

نهض بوبي بسرعة واقترب من الرجل، وقبل أن يصل إليه سمعه يتكلم. لم يكن صوته ضعيفاً، بل خرج واضحاً رناناً، قال: لماذا لم يسألوا إيفانز؟!

ثم انتابته رعشة غريبة، وانسدل جفناه وسقط فكه... لقد مات الرجل.

\* \* \*

## الفصل الثاني

### قلق الآباء

جثا بوبي بجانبه على ركبتيه، ولكن لم يكن في الأمر شك، لقد مات الرجل. لحظة أخيرة من الوعي وذلك السؤال المفاجئ، وبعدها: النهاية.

بنوع من الاعتذار أدخل بوبي يده في جيب الرجل الميت فأخرج مندبلاً من الحرير غطى به وجه الرجل توقيراً، ولم يكن ثمة ما يفعله أكثر من ذلك. ثم لاحظ أنه سحب شيئاً آخر من جيبه وهو يسحب المندبيل. كانت صورة فوتوغرافية، وأثناء إعادتها الى مكانها ألقى نظرة على الوجه الذي ظهر فيها.

كانت صورة لوجه امرأة، امرأة جميلة ذات عينين متباعدين، وكانت دون الثلاثين من العمر بالتأكيد. كانت الطبيعة الأسرة لجمالها (وليس الجمال نفسه) هي التي استحوذت على مخيلة الشاب، وفكر بأنه كان وجهاً ليس لا يسهل نسيانه. وما لبث أن أعاد الصورة برفق ووقار إلى الجيب الذي أخرجها منه ثم جلس ثانية ينتظر عودة الدكتور.

مرّ الوقت بطيئاً جداً، أو على الأقل هكذا بدا للشاب المُتَظَر. ثم تذكر أمراً آخر؛ لقد وعد أباه بأن يعزف على الأورغ أثناء صلاة

المساء في السادسة، وكانت ساعته تشير عندئذ إلى السادسة إلا عشر دقائق. لا شك أن والده سيتفهم الظروف، ولكنه كان يتمنى -رغم ذلك- لو أنه تذكر إرسال رسالة مع الدكتور، فقد كان الكاهن ثوماس جونز رجلاً عصبياً المزاج لأبعد حد. كان سريع الاهتياج بمعنى الكلمة، وعندما يحتاج كانت معدته تنهار ويعاني من ألم شديد. ورغم أن بوبي كان يعتبر والده عجوزاً أحرق يثير الشفقة إلا أنه كان يحبه كثيراً، ومن ناحية أخرى كان الكاهن ثوماس يعتبر ولده الرابع ولداً أحرق يثير الشفقة، لكنه كان يسعى إلى إصلاحه.

فكر بوبي أن أباه العجوز المسكين سيثير نفسه إلى أن يداهمه ذلك الألم في معدته، وبعدها لن يكون قادراً على تناول عشاءه. لن يدرك أنني لا أخذه إلا إذا كان الأمر ملحاً ولا يمكن تجنبه، لن يفهم ذلك. لا يوجد شخص تجاوز الخمسين وبقي لديه حسن الفهم، فهم يُشغِلون أنفسهم حتى الموت بأشياء تافهة جداً لا تهم. لا بد أنهم رُبوا تربية مشوهة فباتوا لا يستطيعون مساعدة أنفسهم. مسكين أبي العجوز؛ إن عقله أصغر من عقل الدجاجة!

جلس يفكر بأبيه بعاطفة ممزوجة بالحب والسخط معاً، وبدت له حياته في البيت مسيرة طويلة من التضحية من أجل أفكار والده الغريبة. أما السيد جونز فبدت الفترة نفسها في عينيه حياة طويلة من التضحية من جانبه، تضحية لم يفهمها ولم يقدرها الجيل الشاب.

فكر بوبي: لقد تأخر الدكتور كثيراً! كان ينبغي أن يكون قد رجع في هذا الوقت.

ثم نهض وضرب الأرض بقدمه مكتئباً، وفي تلك اللحظة سمع صوتاً فوقه، فرفع بصره شاكراً لله لأن المساعدة قريبة منه ولم تعد لخدماته حاجة. لكنه لم يكن الدكتور، بل كان رجلاً يرتدي بنظالاً رياضياً ولم يكن بوبي يعرفه.

قال القادم الجديد: هل في الأمر شيء؟ هل وقع حادث؟ هل يمكنني مساعدتك بأي شكل؟

كان رجلاً طويلاً ذا صوت عذب صادح. لم يستطع بوبي رؤيته بوضوح لأن عتمة الغسق كانت تتقدم سريعاً، إلا أنه شرح له ما حدث، فعبر الرجل الغريب عن صدمته وسأل: ألا يوجد شيء يمكنني عمله؟ هل أستدعي المساعدة؟

أوضح بوبي أن المساعدة قادمة في الطريق، وسأله إن كان يرى أي إشارة تدل على وصول أحد، فقال الرجل: لا أرى شيئاً في الوقت الحالي.

واصل بوبي حديثه: إن لديّ موعداً في السادسة.

- وأنت لا تريد أن تترك...

- لا، ليس تماماً. أقصد أن الرجل المسكين ميت وبالطبع لا أستطيع عمل شيء، ولكن رغم ذلك...

ثم توقف عن الحديث وهو يجد من الصعب عليه -كالعادة- تحويل المشاعر إلى كلمات. ومع ذلك فقد بدا أن الرجل الآخر فهم، فقد قال: فهمت. انتظر، سأنزل إليك... هذا بالطبع إن كنت أستطيع أن أرى طريقي، وسأبقى هنا لحين وصول أولئك الرجال.

قال بوبي شاكراً: هل تفعل؟ إنه أبي، إنه ليس سيئاً ولكن مثل هذه الأمور تزعجه. هل تستطيع أن ترى طريقك؟ تحرك إلى اليسار قليلاً، والآن إلى اليمين... هكذا تماماً. إن الطريق ليس صعباً في الحقيقة.

شجّعه بالتعليمات إلى أن أصبح الرجلان وجهاً لوجه فوق أرض منبسطة ضيقة. كان القادم الجديد في الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً وله شارب صغير. وأوضح قائلاً: أنا غريب عن هذه المنطقة. اسمي فرينش، وقد جئتُ باحثاً عن بيت هنا. يا له من حادث فظيع! هل سقط عن الحافة؟

أوماً بوبي برأسه بالإيجاب، وشرح قائلاً: كان الجو ضبابياً. إنه جزء خطير من الممر. حسناً، وداعاً، أشكرك كثيراً. يجب أن أسرع، إنها خدمة كبيرة منك.

عارضه الرجل قائلاً: لا شكر على واجب، فأني شخص كان سيتصرف بالطريقة نفسها، فلا يمكننا أن نترك الرجل المسكين ممدداً وحده. حسناً، أقصد أنه لن يكون عملاً لائقاً إلى حد ما.

\* \* \*

تسلّق بوبي صاعداً الممر الشديد الانحدار، وعندما وصل إلى القمة لوّح بيده للرجل الآخر وانطلق مسرعاً عبر الريف وصولاً إلى الكنسية، ولكي يوفر الوقت قفز فوق سور فنائها بدلاً من الدوران والدخول من بوابتها الرئيسية المطلة على الطريق، وهو عمل لاحظته الكاهن من نافذة حجرة الاجتماعات وأثار استياءه كثيراً.

كانت الساعة السادسة وخمس دقائق، ولكن الجرس كان ما يزال يُقرع، وقد تم تأجيل الإيضاحات والانتهايات حتى انتهاء الصلاة. ارتدى بوبي في مقعده لاهثاً وأخذ يعبث بمقبض الأورغ القديم ليعدّل النغمات، وقد قاد تداعي الأفكار أصابعه لتعزف اللحن الجنائزي لشوبان.

بعد انتهاء الصلاة وبّخ الكاهن ابنه بطريقة يغلب عليها الأسف أكثر من الغضب (كما أشار هو بوضوح)؛ قال: إذا لم تستطع عمل شيء ما بصورة صحيحة فمن الأفضل أن لا تعمله على الإطلاق يا عزيزي بوبي! أعرف أنك ورفاقك الشباب ليست عندكم فكرة عن الوقت كما يبدو، ولكن من اللائق أن لا تدع الناس ينتظرون. لقد تطوعت للتعزف على الأورغ بمحض إرادتك، أنا لم أُجبرك، وبدلاً من الالتزام بالوعد فضلت أن تلعب...

فكر بوبي أنه من الأفضل له أن يقاطعه قبل أن يزداد تمادياً، فقال بلهجته المرحمة المعتادة التي ألف الحديث بها بغض النظر عن الموضوع: أنا آسف يا أبي، إنها ليست غلطتي هذه المرة، فقد كنتُ أحرس جثة.

هتف أبوه مصعوقاً: كنتَ ماذا؟!

- كنتُ أحرس رجلاً سقط عن المنحدر الصخري في الموضع الذي فيه الهوة، أنت تعرفه، عند نقطة الغولف السابعة عشرة. وقتها كان الضباب يعمّ المكان، ولا بد أنه واصل سيره إلى أن سقط من فوق الحافة الصخرية.

صاح الكاهن: يا إلهي، يا لها من مأساة! هل مات الرجل

على الفور؟

- لا؛ لقد فقدَ وعيه أولاً، ثم مات بعد أن غادر الدكتور  
ثوماس. وبالطبع شعرت أن من واجبي البقاء هناك، فلم يكن  
باستطاعتي تركه. ثم جاء رجل آخر، وهكذا نقلت وظيفة الحراسة  
إليه وانطلقت قادماً إلى هنا بأسرع ما أستطيع.

تنهد الكاهن وقال: يا ولدي العزيز، أُن يُلين شيء قسوة  
فؤادك؟ إن هذا الأمر يحزنني أكثر مما أستطيع قوله. لقد كنتَ وجهاً  
لوجه مع الموت، مع موت مؤلم مفاجئ، وعلى الرغم من ذلك  
فإن باستطاعتك أن تتحدث عن الموقف بمرح! ألم يُحرِّك الحادث  
الأليم شيئاً فيك؟ إن كل شيء، كل شيء مهما كان مقدساً يبدو  
لكم مجرد نكتة أيها الشباب!

حرَّك بوبي قدميه مُحرَّجاً. إذا لم يكن والده قد فهم الأمر  
حتى الآن فلن يفهمه مهما وضَّحه، فالمرء يتحدث مازحاً عن شيء  
ما لأنه يحس حياله بالعجز والأسى. ليس هذا بالأمر الذي يمكنك  
أن توضحه، فعند الحديث عن الموت والمآسي عليك أن تبقى  
صلباً. ولكن ماذا يمكنك أن تتوقع؟ لا أحد فوق الخمسين من  
عمره يفهم أي شيء على الإطلاق، فإن لديهم أفكاراً غريبة جداً.

فكَّر بوبي مخلصاً: أظن أن هذا الحال نشأ بسبب الحرب؛  
لقد خربَّتْهم ولن ينصلح حالهم مرة أخرى.

شعر بالخجل من والده وبالأسف عليه، ثم قال بفهم متبصّر:  
أنا آسف يا أبي.

وشعر الكاهن بالأسف على ابنه الذي بدا مرتبكاً، ولكنه

شعر بالخجل منه أيضاً ، فلم يكن عند الولد أدنى مفهوم عن الحياة الجادة ، وحتى اعتذاره كان يعتربه الاستخفاف وعدم الندم .

ثم تحرك الاثنان إلى البيت وكل منهما يحاول جاهداً اختلاق العذر للآخر . فكّر الكاهن في نفسه : تُرى متى يجد بوبي شيئاً يعمله؟ وفكر بوبي في نفسه : تُرى إلى متى سأبقى ملتصقاً بهذا المكان؟

ورغم ذلك كان كل منهما يحب الآخر لأبعد الحدود .

\* \* \*



## الفصل الثالث

### رحلة في القطار

لم يدرك بوبي عاقبة مغامرته على الفور، ففي الصباح التالي ذهب إلى المدينة لكي يقابل فيها صديقاً كان يفكر بتأسيس ورشة لإصلاح السيارات، وقد تصوّر أن تعاون بوبي معه سيكون مفيداً لهما معاً.

أمضى بوبي في لندن يومين سوّيت خلالهما الأمر بما يُرضي الطرفين، وفي صبيحة اليوم الثالث استقل قطار الحادية عشرة والنصف عائداً إلى بيته. صحيح أنه استقل القطار، إلا أنه لحقه في آخر لحظة، فقد وصل إلى محطة بادنغتون في الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والعشرين، فاندفع داخل النفق وخرج إلى الرصيف رقم ٣ عندما بدأ القطار يتحرك، فألقى بنفسه في أول مقطورة رآها غافلاً عن محصلي التذاكر والحمالين الساخطين الذين كانوا خلفه مباشرة.

عندما سحب الباب بقوة لفتحه سقط على يديه وركبتيه، فرفع نفسه، وفي اللحظة نفسها أُغلق الباب بضربة قوية من حمّال سريع الخاطر، ووجد بوبي نفسه ينظر إلى الراكبة الوحيدة التي تشغل المقصورة.

كانت مقصورة من الدرجة الأولى، وقد جلست في طرفها فتاة سمراء تضع على رأسها قبعة زرقاء لامعة ولها عينان سوداوان حزينتان ووجه متجدد، إلا أنها كانت جذابة بصورة واضحة.

بدأ بوبي بتقديم كلمات الاعتذار، ثم توقف فجأة وهتف: أه، هذه أنتِ يا فرانكي! لم أرك منذ وقت طويل.

- فعلاً، لم نلتق منذ وقت طويل. اجلس وتحدث.

ابتسم بوبي وقال: إن التذكرة التي أحملها ليست لهذه المقصورة.

فقالت فرانكي بلطف: لا يهم، سأدفع الفرق عنك.

- إن رجولتي تأبى عليّ قبول هذه الفكرة. كيف أدع سيدة تدفع عني؟

- أظن أن هذا كل ما نحن ناجحات فيه هذه الأيام.

عندما ظهر رجل ضخم الجسم بلباس أزرق عند الباب قادماً من الممر قال بوبي بشجاعة: سأدفع الفرق بنفسني.

قالت فرانكي: اترك الأمر لي.

ابتسمت لمحصّل التذاكر بلطف، فلمس قبعته احتراماً بعد أن أخذ منها التذكرة البيضاء وثقبها. قالت: لقد وصل السيد جونز لتوّه لكي يتحدث معي قليلاً، هل في الأمر مشكلة؟

قال: لا بأس يا سيدتي؛ أظن أن السيد لن يمكث هنا طويلاً. ثم سعل بلباقة وأضاف بطريقة ذات مغزى: لن أعود مرة ثانية إلا

بعد وصول القطار إلى بريستول.

قال بوبي بعد أن خرج الموظف: إن الابتسامة تحقق المستحيل.

هزت الليدي فرانسيس ديزونت رأسها متأملة وقالت: لست متأكدة تماماً أن الابتسامة هي التي حققت هذه النتيجة، بل أظن أنها بسبب عادة والدي بدفع خمسة شلنات بقشيشاً لكل موظف كلما سافر، هذا هو السبب.

- كنت أظن أنك تركتِ ويلز إلى الأبد يا فرانكي.

تنهدت فرانكي قائلة: يا عزيزي! إنك تعرف الحال، تعرف تزمتِ الوالدين. بالإضافة لعدم وجود شيء أعمله ولا أشخاص ألتقي بهم، فالناس لا يأتون للإقامة في الريف هذه الأيام. يقولون إنهم يقتصدون في النفقات فلا يستطيعون السفر بعيداً. حسناً، أقصد... ماذا تفعل فتاة مثلي؟

هزّ بوبي رأسه متعاطفاً وقد أدرك المشكلة، وتابعت فرانكي حديثها: ومع ذلك، وبعد الحفلة التي حضرتها بالأمس، أظن أن بيتي لا يمكن أن يكون أسوأ من ذلك.

- وماذا كانت المشكلة في الحفلة؟

- كانت كأى حفلة أخرى، أو أكثر منها بقليل فقط. كانت ستبدأ في فندق سافوي في الثامنة والنصف، وقد وصل بعضنا في التاسعة والرابع، ثم تفرقنا خارجين في حدود الساعة العاشرة فتناولنا العشاء، وبعد ذلك بقليل ذهبنا إلى نادي ماريونيت بعدما سرت إشاعة بأن المكان قد يتعرض لغارة جوية. ولكن لم يحصل

شيء؛ كان المكان خاملاً، فواصلنا سهرتنا في نادي بولرنغ وكان أكثر حمولاً وهدوءاً، ثم ذهبنا إلى مقهى، ثم فكرنا أن نذهب ونتناول الإفطار مع عم أنجيلا، ثم تسربنا إلى البيوت. كانت ليلة مملة لأقصى الحدود.

قال بوبي وهو يكتب مشاعر الحسد: نعم، أظن ذلك.

ما كان ليحلم أبداً (حتى في أقصى لحظات الجموح) بأن يكون عضواً في نادي ماريونيت أو بولرنغ. وقد كانت صداقته مع فرانكي غريبة، فعندما كانوا صغاراً كان هو وإخوته يلعبون مع أولاد عائلة ديرونت الأرسقراطية، أما الآن وقد كبروا فنادراً ما كانوا يلتقون، وعندما يلتقون فإنهم يتخاطبون بأسمائهم الأولى. وفي المناسبات النادرة عندما تكون فرانكي في بيتها كان بوبي وإخوته يذهبون ويلعبون التنس معها، ولكن لم يكن من العادة دعوة فرانكي وأخويها لزيارة بيت الكاهن، وبدا ذلك اعترافاً ضمناً بأنهم لا يجدون فيه أي تسلية.

ربما بقيت بينهم الحواجز الاجتماعية المألوفة رغم التبسط واستخدام الأسماء الأولى في التخاطب، وربما كانت عائلة ديرونت أكثر صداقة من اللازم معهم، وكأنهم يريدون إظهار عدم وجود فرق بينهم، أما أفراد عائلة جونز فكانوا رسميين قليلاً من جانبهم، وكأنهم قد صمموا على عدم المطالبة بصداقة أكثر مما قدم إليهم. أما الآن فلم يعد بين العائلتين شيء مشترك باستثناء ذكريات الطفولة، ورغم ذلك كان بوبي معجباً بفرانكي، وكان يشعر بالسعادة دائماً في المناسبات النادرة عندما تجمعهما الظروف معاً.

قالت فرانكي بصوت مُرهَق: لقد سئمت جداً من كل شيء.  
ألم تسأم أنت؟

فكر بوبي ثم قال: لا، لا أظن أنني أشعر بالسأم.

- يا عزيزي، كم هذا جميل!

ثم قالت فجأة: على فكرة، ماذا عن ذلك الرجل الذي سقط  
عن المنحدر الصخري؟

- لقد عثرنا عليه أنا والدكتور ثوماس. كيف عرفتِ عنه يا  
فرانكي؟

- قرأت الخبر في الصحيفة، انظر.

أشارت بإصبعها إلى فقرة صغيرة تحت عنوان: «حادث قاتل  
في ضباب البحر». وجاء في التفاصيل: "تم التعرف على هوية  
ضحية المأساة التي وقعت في مارشبولت في وقت متأخر من ليلة  
أمس عن طريق صورة كان يحملها، وثبت أن الصورة للسيدة  
ليو كايمان. وقد تم الاتصال بالسيدة كايمان وسافرت في الحال  
إلى مارشبولت، حيث تعرفت على الفقيد على أنه أخوها أليكس  
برتشارد. وكان السيد برتشارد قد عاد مؤخراً من تايلند، حيث كان  
يعيش خارج إنكلترا منذ عشر سنوات، وكان قد خرج في جولة  
سيراً على الأقدام. وسوف يجري التحقيق غداً في مارشبولت".

عادت أفكار بوبي إلى وجه صاحبة الصورة الأسر بصورة  
غريبة وقال: أظن أن عليّ أن أدلي بشهادتي في التحقيق.

- إنه لأمرٌ مثير. سآتي لأسمعك.

- لا أظن أن في الأمر شيئاً مثيراً؛ كل ما هنالك أننا وجدناه.

- هل كان ميتاً؟

- لا، لم يكن قد مات وقتها. مات بعد ذلك بربع ساعة،  
وكنت وحيداً معه.

ثم توقفت، فقالت فرانكي بذلك الإدراك السريع الذي يفتقده  
والد بوبي: إنه لأمرٌ كئيب.

- لم يشعر بأي ألم بالطبع...

- أحقاً؟

- ولكن رغم ذلك... حسناً، لقد بدا الرجل مفعماً بالحيوية،  
ذلك النوع من الأشخاص... وكانت تلك نهاية بائسة لمثله، أن  
تنزلق فقط قدمه من فوق منحدر صخري بسبب بعض الضباب  
السخيف.

قالت فرانكي: أنا أفهمك يا بوبي.

مرة أخرى أظهرت العبارة الغريبة تعاطفاً وتفهماً. ثم سألته:  
وهل رأيت الأخت؟

- لا، فقد كنت بعيداً في المدينة لمدة يومين، أمضيتهما  
بصحبة صديق لبحث مشروع نفكر بالمشاركة في تأسيسه. لعلك  
تذكرينه؟ إنه بادجر بيدون.

- هل أعرفه؟

- بالطبع تعرفينه. لا بد أنك تتذكرين بادجر الطيب، إنه ذلك

الفتى الأحوّل.

عقدت فرانكي حاجبيها في دلالة على عدم التذكر، واستمر بوبي مُساعداً: كانت له ضحكة سخيقة جداً: هاه هاه هاه... هكذا.

استمرت فرانكي بتعقيد حاجبيها، ومضى بوبي: وقد سقط عن فرسه عندما كنا أطفالاً فالتصق بالوحل ورأسه الى الأسفل، وكان علينا أن نسحبه من رجليه لنخرجه.

قالت فرانكي وقد تدفقت في خيالها الذكريات: آه! لقد عرفته الآن. كان يتلثم في الكلام.

قال بوبي مفتخراً: إنه ما يزال كذلك.

تساءلت فرانكي: أليس هو الذي كان يدير مزرعة دجاج ثم أفلست؟

- هذا صحيح.

- ثم عمل في مكتب سمسرة أسهم وطرده بعد شهر واحد؟

- هو نفسه.

- ثم أرسلوه إلى أستراليا ولم يلبث أن عاد؟

- نعم.

فقالت فرانكي: بوبي، أرجو ألا تكون قد وضعت مالاً في مغامرة العمل هذه؟

- ليس لديّ أي مال حتى أضعه.

قالت فرانكي: هذا جيد.

مضى بوبي بالقول: من الطبيعي أن بادجر حاول العثور على شخص معه قليل من المال يريد أن يستثمره، ولكن الأمر ليس سهلاً كما تعتقدن.

قالت فرانكي: عندما تنظر حولك لن تصدق أن الناس يملكون أي أدراك، ولكنهم يمتلكون الإدراك السليم.

بدا أن مغزى هذه الملاحظات قد أثار بوبي أخيراً، فقال: اعلمي يا فرانكي بأن بادجر واحد من أفضل الناس، من الأفضل تماماً.

- إنهم دائماً هكذا.

- من هم؟

- الناس الذين يذهبون إلى أستراليا ثم يعودون منها. كيف حصل على المال الذي سيبدأ به المشروع؟

- توفيت عمه له وتركت له ورشة إصلاح تتسع لست سيارات وفوقها ثلاث غرف، وقد جمع له أهله مئة جنيه ليشتري بها سيارات مستعملة. سوف تستغربين عندما تعرفين مقدار الربح الذي يجنيه المرء من السيارات المستعملة.

- اشتريت واحدة مرة. إنه موضوع مؤلم، دعنا لا نتحدث عنه الآن. حسناً، لماذا تريد ترك سلاح البحرية؟ إنهم لم يُسرحوك من الخدمة، أليس كذلك؟ ليس في مثل سنك؟

احمرَّ وجه بوبي خجلاً وقال بخشونة: بسبب النظر.

- أتذكّر أنك كنت تشتكي من عينيك على الدوام.

- صحيح ، لكنني كنت أتدبر أموري دائماً. ثم جاءت الخدمة الخارجية، حيث الضوء القوي كما تعرفين، وهذا أثر في عيوني أيضاً. وهكذا... حسناً، كان عليّ أن أمضي.

همست فرانكي وهي تنظر عبر نافذة القطار: هذا كئيب.

ساد المكان صمتٌ بليغ، ثم لم يلبث بوبي أن انفجر قائلاً: إنه أمر مؤسف، فعيناي ليستا سيئتين في الحقيقة، وهما لن تسوء أكثر كما يقولون. كان يمكنني أن أستمر في الخدمة بطريقة مثالية.

قالت فرانكي وهي تنظر مباشرة إلى عينيه البنيتين الصادقتين: إنها تبدو جيدة.

قال بوبي: وهكذا فسوف أعمل مع بادجر.

أومأت فرانكي برأسها، وفي تلك اللحظة فتح خادمُ الباب وقال: إنه وقت الغداء.

نظرت فرانكي إلى بوبي وسألته: هل نذهب؟

انتقلا إلى عربة الطعام، وقام بوبي بانسحاب تكتيكي قصير في الفترة التي كان من المتوقع فيها دخول محصل التذاكر، قال: لا نريده أن يرهق ضميره كثيراً.

لكن فرانكي قالت إنها لا تعتقد بأن لمحصلي التذاكر ضمائر.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة عندما وصلوا إلى سيليهام، وهي كانت المحطة إلى مارشبولت. قالت فرانكي: السيارة في انتظاري، سأوصلك معي.

- أشكرك، هذا سيوفر عليّ حمل حقيبتَي الثقيلة لمسافة ميلين.

ثم رفس حقيته برجله باستخفاف، فقالت فرانكي: إنها ثلاثة أميال وليست اثنين.

- هما ميلان اثنان إذا ذهبتِ عن طريق ممر المشاة الذي يخترق ملعب الغولف.

- الممر الذي...

- نعم، الممر الذي سقط منه ذلك الرجل.

تساءلت فرانكي وهي تعطي حقيبة زينتها لخادمتها التي وصلت لتوّها: أحسب أن أحداً لم يدفعه من فوق، أليس كذلك؟

- دفعه من فوق؟ يا إلهي! لا. لماذا؟

قالت فرانكي بلامبالاة: هذا سيجعل الأمر أكثر إثارة، أليس كذلك؟

\* \* \*

## الفصل الرابع

### التحقيق

في اليوم التالي عُقدَ التحقيق لمناقشة حادثة أليكس برتشارد، وأدلى الدكتور ثوماس بشهادته عن اكتشاف الجثة، ثم سأله المحقق: لم تكن الحياة قد انتهت وقتها؟

- صحيح، كان الفقيد ما يزال يتنفس، ومع ذلك لم يكن في شفائه أي أمل، إذ إن...

هنا أصبح الدكتور يتكلم بلغة فنية جداً، فتدخل المحقق لمساعدة المحلفين على الفهم قائلاً: باللغة المعتادة، كَسِرَ ظهر الرجل؟

فقال الدكتور ثوماس حزيناً: إن كنت تريد وضعها بهذه العبارة، نعم.

ثم ذكّر كيف ذهب لإحضار مساعدة تاركاً الرجل المحتضر في رعاية بوبي، وبعد ذلك سأله المحقق: والآن بالنسبة لسبب هذه المصيبة، ما هو رأيك يا دكتور ثوماس؟

- حسب الاحتمال المعقول وما لم يوجد دليل على ضعف عقله فإن الفقيد مشى فوق حافة المنحدر الصخري دون قصد. كان

المكان مغطى بضباب يتصاعد من البحر، وفي تلك النقطة بالذات كان الممر يلتف فجأة نحو الداخل، ويبدو أن الفقيد لم يلاحظ الخطر ومشى بخط مستقيم بسبب الضباب، وكانت خطوتان إلى الأمام كافيتين لسقوطه عن الحافة الصخرية.

- ألم ترَ أي علامات تدل على العنف، كأن يكون حادثاً دبره طرف ثالث؟

- بإمكانني أن أقول فقط إن جميع الإصابات الموجودة يمكن إرجاعها بالكامل إلى ارتطام الجسد بالصخور.

- تبقى لدينا نظرية الانتحار، أليس كذلك؟

- هذا ممكن بالطبع، وسواء أكان الفقيد قد مشى فوق الحافة أو ألقى بنفسه من فوقها فهذه مسألة لا أستطيع أن أقول فيها شيئاً.

انتهى استجواب الدكتور واستدعي روبرت جونز للإدلاء بشهادته، فأوضح أنه كان يلعب الغولف مع الدكتور وأنه قذف كرتة ناحية البحر. في ذلك الوقت انتشر الضباب وباتت الرؤية صعبة، وقد ظن أنه سمع صرخة، وتساءل للحظة ما إذا كانت كرتة قد أصابت شخصاً يمشي على الممر، ثم قرر أن وصول الكرة لتلك المسافة البعيدة لم يكن محتملاً.

- هل وجدت الكرة؟

- نعم، كانت تبعد نحو مئة متر عن ممر المشاة.

ثم وصف كيف ضرب الكرة الضربة التالية وكيف سقطت في الحفرة، وهنا أوقفه المحقق لأن شهادته ستكون تكراراً لشهادة

الدكتور، ثم سأله بدقة عن الصرخة التي سمعها أو ظن أنه سمعها، فقال بوبي: كانت مجرد صرخة.

- صرخة لطلب المساعدة؟

- لا، بل مجرد صيحة، وفي الواقع لم أكن متأكداً تماماً أنني سمعتها.

- هل كانت صرخة تدل على المفاجأة؟

قال بوبي شاكراً: هذا التعبير يصفها بشكل أحسن. إنها تشبه الصوت الذي يطلقه الشخص عندما تصيبه كرة دون توقع.

- أو عندما يجد نفسه يخطو في الهواء عندما كان يظن أنه يسير فوق الطريق؟

- نعم.

أخيراً انتهت محنة بوبي بعدما شرح كيف مات الرجل بعد مغادرة الدكتور لطلب المساعدة بخمس دقائق. وبدا المحقق بعدها مهتماً بإنجاز عمله بصورة احترافية، فاستدعى السيدة ليو كايمان.

عندما وقفت السيدة على المنصة أطلق بوبي شهقة تدل على خيبة أمل شديدة. أين ذلك الوجه في الصورة التي سقطت من جيب القتيل؟ فكر بوبي باشمئزاز: إن المصورين هم أسوأ أنواع الكذابين! لعل الصورة التُقطت قبل سنوات، ولكن حتى مع هذا الاحتمال يصعب تصديق أن تلك الجميلة الفاتنة صاحبة العينين الواسعتين يمكن أن تصبح هذه المرأة ذات الوجه البرونزي والحواجب المتتوفة والشعر المصبوغ. وخطر ببال بوبي فجأة أن

الزمن مخيف جداً. كيف ستبدو فرانكي على سبيل المثال بعد عشرين عاماً؟ ارتعش قليلاً.

في تلك اللحظات كانت أميليا كايمان تدلي بشهادتها. كان الفقيد أباها الوحيد ألكساندر برتشارد، وكانت آخر مرة رآته فيها في اليوم الذي سبق المأساة، عندما أعلن عن نيّته الذهاب في جولة سيراً على الأقدام في ويلز، وكان قد عاد مؤخراً من الشرق.

- هل كان في حالة مزاجية سعيدة عادية؟

- تماماً؛ كان أليكس مبتهجاً دائماً.

- حسب علمك: ألم يكن شيء ما يشغل فكره؟

- أنا متأكدة أن شيئاً لم يكن يشغله. لقد كان يتطلع إلى جولته.

- هل عانى من متاعب مالية أو أي متاعب من نوع آخر في حياته في الآونة الأخيرة؟

- في الحقيقة لا يمكنني معرفة ذلك، فقد عاد لتوّه، وقبل ذلك لم أره لعشر سنوات، وهو لم يكن يحب الكتابة كثيراً. ولكنه اصطحبني لمشاهدة مسرحيات وتناولنا الغداء معاً في لندن وقدم لي بعض الهدايا، لذلك لا أظن أنه كان يعاني من مشكلات مالية، وكانت معنوياته جيدة فلا أعتقد بوجود أي مشكلة من نوع آخر.

- ماذا كانت مهنة أخيك يا سيدة كايمان؟

بدت السيدة مرتبكة قليلاً ثم قالت: لا أستطيع القول بأنني أعرف الجواب الدقيق عن هذا السؤال. التنقيب... هكذا كان يقول، وكان نادراً ما يبقى في إنكلترا.

- هل تعرفين أي سبب يمكن أن يؤدي به إلى الانتحار؟

- آه، لا، لا أعتقد أنه فعل شيئاً كهذا. لا بد أنه كان حادثاً عَرَضياً.

- كيف تفسرين حقيقة أن أخاك لم يكن يحمل معه أمتعة، ولا حتى حقيبة ظهر؟

- لم يكن يحب حمل حقيبة ظهر، بل كان يرسل طروداً بالبريد بين يوم وآخر. وقد أرسل واحداً منها قبل يوم من مغادرته وكان يحتوي على ملابس نومه وزوج من الجوارب، وقد أرسله خطأً إلى ديريشاير بدلاً من دينيشاير، فلم يصلنا إلا هذا اليوم فقط.

- آه! هذا يوضح نقطة غريبة إلى حد ما.

استمرت السيدة كايمان في توضيح كيفية الاتصال بها بواسطة المصور الذي كان اسمه مطبوعاً على الصورة التي كان يحملها أخوها، ولقد جاءت مع زوجها إلى مارشبولت وتعرفت على جثة أخيها في الحال. وعندما كانت تقول الكلمات الأخيرة شهقت بصوت مسموع وبدأت بالبكاء.

تلَفَّظ المحقق ببعض الكلمات المهدئة ثم صرفها، ثم خاطب المحلفين. كانت مهمتهم تقرير كيف مات هذا الرجل، ولحسن الحظ كان يظهر أن المسألة بسيطة جداً، فلم يكن فيها أي إيحاء بأن السيد برتشارد كان قلقاً أو مكتئباً أو في وضع نفسي سيئ من المحتمل أن يقوده إلى الانتحار، بل كان -على العكس من ذلك- في صحة جيدة ومعنويات مرتفعة ويتطلع لبدء إجازته. كانت

المسألة سوء حظ فقط ، فعندما كان الضباب يرتفع من البحر يصبح الممر على طول المنحدر الصخري خطيراً ، ومن المحتمل أنهم يوافقونه الرأي أن الوقت قد حان لاتخاذ تصرف ما بشأن ذلك .

كان حكم المحلفين فورياً : وجدنا أن الفقيد قد لقي حتفه بسبب حادثة مؤسفة ، ونحّب أن نضيف هنا ملاحظة أخرى ، هي أن على مجلس البلدة أن يتخذ خطوات فورية لوضع سياج أو حاجز على جانب الممر المواجه للبحر في المنطقة التي تحاذي الهوة .

أوماً المحقق برأسه موافقاً ، وانتهى التحقيق .

\* \* \*

## الفصل الخامس

### السيد كايمان وزوجته

عندما عاد بوبي إلى بيت الكاهن بعد نصف ساعة وجد أن ارتباطه بموت أليكس بريشارد لم يكن قد انتهى بعد ، فقد علم أن السيد كايمان وزوجته جاءا لرؤيته وهما موجودان مع والده في غرفة المكتب. ذهب بوبي إلى المكتب فوجد أباه يتحدث معهما ببعض الصعوبة كما بدا واضحاً عليه. قال ببعض الارتياح: آه! ها هو بوبي.

نهض السيد كايمان وتقدم ناحية الشاب بيد ممدودة. كان رجلاً ضخماً متورداً اللون ذا أسلوب متحمس ، مع نظرة باردة ومراوغة تناقض سلوكه. أما السيدة كايمان فرغم أنها قد تعتبر جذابة بطريقة ما إلا أنها لم تشبه صورتها القديمة، ولم يبقَ في وجهها أي أثر لملامح الحزن التي بدت أثناء التحقيق. وفكر بوبي في نفسه أنها لو لم تتعرف هي على صورتها لَصَعْبُ أن يتعرف عليها أي شخص آخر.

قال السيد كايمان وهو يمسك بيد بوبي بطريقة قوية ومؤلمة: لقد جئتُ مع زوجتي لأقف إلى جانبها، فمن الطبيعي أن تكون أميليا متضايقة. لقد جئنا لرؤيتك، فأخو زوجتي المسكينة توفي

بين ذراعيك، ومن الطبيعي أنها تريد أن تعرف كل ما يمكنك أن تخبرها به عن لحظاته الأخيرة.

قال بوبي مكتئباً: فعلاً، فعلاً. ثم ابتسم ابتسامة عصبية، وأحسّ على الفور بأبيه يتنهد باستسلام.

قالت السيدة كايمان وهي تمسح عينيها: أليكس المسكين، المسكين، المسكين أليكس!

قال بوبي: أعرف، إنه لأمر محزن.

قالت السيدة كايمان وهي تنظر إلى بوبي راجية: إذا ترك أي كلمات أخيرة أو رسائل فيهمني أن أعرف.

- في الحقيقة هو لم يفعل.

- لا شيء على الإطلاق؟

بدا على السيدة كايمان أنها غير مصدقة وأن أملها قد خاب، وشعر بوبي بالحاجة إلى الاعتذار فقال: نعم، لا شيء أبداً.

قال السيد كايمان بوقار: هذا أفضل، أن يرحل وهو فاقد الوعي بلا ألم. يجب أن تنظري إلى الأمر على أنه رحمة يا أميليا.

قالت السيدة كايمان: أظن أنني يجب أن أفعل. هل أنت واثق أنه لم يشعر بأي ألم؟

قال بوبي: أنا واثق أنه لم يشعر بألم.

استنشقت السيدة كايمان نفساً عميقاً ثم قالت: حسناً، هذا أمر يستحق الشكر. ربما تمنيت فعلاً لو أنه ترك رسالة أخيرة،

ولكنني أرى أن ما حدث هو الأفضل. مسكين أليكس، إنه رجل رائع.

استرجع بوبي في ذاكرته الوجه البرونزي والعينين الزرقاوين. شخصية جذابة، هكذا كان أليكس بريشارد، جذاباً حتى عندما كان قريباً من الموت، ومن الغريب أنه أخو السيدة كايمان وصهر السيد كايمان. أحس بوبي أنه كان يستحق أناساً أفضل منهما.

قالت السيدة كايمان: إننا مدينان لك كثيراً، بالتأكيد.

فقال بوبي: آه، لا بأس، أقصد... حسناً، لم أستطع عمل أي شيء آخر. أقصد...

تلعثم في الكلام يائساً، فقال السيد كايمان: لن ننسى معروفك. عانى بوبي مرة أخرى من تلك القبضة المؤلمة، ومدّت السيدة كايمان له يداً مترهلة. وودّعهما والده هو الآخر، ثم رافقهما بوبي إلى الباب الأمامي.

استفسر كايمان: وماذا تفعل أيها الشاب؟ هل أنت في البيت في إجازة؟

قال بوبي: إنني أمضي معظم وقتي في البحث عن وظيفة. وسكت قليلاً ثم أضاف: كنت أعمل في سلاح البحرية.

قال السيد كايمان وهو يهز رأسه: إنها أوقات صعبة، أوقات صعبة هذه الأيام. حسناً، أتمنى لك حظاً سعيداً.

شكره بوبي بأدب، وراقبهما وهما يسيران في الطريق المغطى بالأعشاب، ثم غرق وهو يقف هناك في تفكير عميق. لمعت في ذهنه

أفكار مختلفة على نحو مشوش، تأملات متداخلة: الصورة، وجه الفتاة ذات العينين المتباعدتين والشعر الضبابي، ثم وجه السيدة كايمان المغطى بالمساحيق الكثيفة وشعرها الصارخ المصبوغ بالحناء وحواجبها المنتوفة وعيناها المتباعدتان الغائصتان بين ثنايا الجلد كعيني خنزير! لقد تلاشت جميع آثار الشباب والبراءة. يا للبؤس! هل نتج هذا كله من زواجها برجل مرح قوي كالسيد كايمان؟ لو أنها تزوجت شخصاً آخر لكان محتملاً أن تكبر رشيقة بمسحة خفيفة من الشيب في شعرها وبعينين ما تزالان متباعدتين تطلان من وجه ناعم شاحب، ولكن ربما على أي حال...

تنهد بوبي وهز رأسه وقال متجهماً: هذا أسوأ ما في الزواج!

- ماذا قلت؟

استيقظ بوبي من تفكيره ليرى أمامه فرانكي التي لم يسمع صوت اقترابها، فقال: مرحباً.

- مرحباً. لماذا الزواج؟ وزواج من؟

- كنت أفكر في الطبيعة العامة.

- تعني...

- آثار الزواج المدمرة.

- ومن الذي دُمّر؟

شرح لها بوبي الموضوع، ولم توافقه فرانكي بل علقته قائلة: هراء! إن المرأة تشبه صورتها تماماً.

- متى رأيتها؟ هل حضرت التحقيق؟

- بالطبع كنت موجودة في التحقيق. ماذا تظن؟ ليس لدي إلا القليل لأصنعه هنا، وقد جاء التحقيق نعمة من السماء. أنا لم أحضر أي تحقيق من قبل، وقد كان الأمر مثيراً تماماً. بالطبع كان الأمر أمتع لو كانت قضية تسمم غامضة، لكن لا ينبغي للمرء أن يشترط عندما تأتي هذه المتع في طريقه. حتى نهاية التحقيق بقي عندي أمل أن يُشار إلى اشتباه بجريمة في الحادثة، ولكن كل شيء كان واضحاً للأسف.

- لديك غرائز متعطشة للدماء يا فرانكي!

- أعرف. من المحتمل أنه بسبب صفات الأسلاف التي تغلب عليّ، ألا تظن ذلك؟

قال بوبي وهو يعود إلى الموضوع الأصلي: هل تعرفين؟ أنا لا أوافقك الرأي بخصوص السيدة كايمان؛ لقد كانت صورتها جميلة.

قاطعته فرانكي: كانت منقحة، هذا كل ما في الأمر.

- حسناً، إذن فقد كانت منقحة جداً لدرجة أن المرء لا يمكن أن يعرف أنها للشخص نفسه.

- لقد صنع المصور كل ما يستطيع فن التصوير أن يصنعه، ولكنها ما تزال صورة رديئة.

قال بوبي ببرود: لا أتفق معك على الإطلاق، وعلى أي حال أين رأيتهما؟

- في الصحيفة المحلية.

- من المحتمل أن تكون قد ظهرت بشكل سيئ.

قالت فرانكي غاضبة: يبدو لي أنك معتوه تماماً لكي تجادل من أجل امرأة كريهة الوجه مصبوغة بالمساحيق كالسيدة كايمان. لا تكن سخيلاً.

توقف الاثنان، ثم خمدت نوبة فرانكي العصبية المفاجئة وقالت: يا له من أمر سخيلاً أن نتشاجر بسبب امرأة سخيطة! لقد جئت لأقترح عليك لعب جولة من الغولف. ما رأيك؟

قال بوبي فرحاً: حسناً أيتها الرئيسة.

انطلقا معاً بصورة سلمية وهما يتناقشان في فنون ضربات الغولف، ونسيا المأساة الأخيرة تماماً إلى أن صاح بوبي فجأة وهو يضرب الكرة بمضربه، فسألته فرانكي: ما الأمر؟

- تذكرت شيئاً.

- ماذا؟

- حسناً، هؤلاء الناس، آل كايمان، لقد جاء وسألاً إن كان الرجل قد قال أي شيء قبل أي يموت، وأخبرتني أنه لم يقل شيئاً.

- حسناً؟

- والآن تذكرت أنه قال شيئاً.

- لم يكن هذا الصباح أحد صباحاتك المشرقة بالتأكيد.

- حسناً، إن الذي قاله لم يكن ما كانا يقصدانه كما بدا لي، لذلك لم أفكر فيه.

سألت فرانكي بفضول: وماذا قال؟

- قال: لماذا لم يسألوا إيفانز؟

- يا له من قول غريب! ألم يقل شيئاً آخر؟

- لا شيء سوى ذلك. لقد فتح عينيه فقط وقال ذلك فجأة تماماً، ثم مات الرجل المسكين.

قالت فرانكي وهي تُدير العبارة في رأسها: آه، حسناً، لا أرى ضرورة لقلقك، فلم يكن ما قاله شيئاً مهماً ذا شأن.

- بالطبع، ومع ذلك أتمنى لو أنني ذكرته لهما بدلاً من تأكيدي بأنه لم يقل شيئاً على الإطلاق.

قالت فرانكي: لكنه يفني بنفس المعنى. أقصد أن كلامه ليس شيئاً مثل "أخبر غلاديس أنني كنت أحبها دائماً" أو "الوصية موجودة في المكتب الخشبي"، أو أيّاً من الكلمات الرومنسية الأخيرة التي نجدها في الروايات.

- ألا تعتقدين أن هذا أمر يستحق أن أكتب لهما بخصوصه؟

- ما كنت لأهتم، لا يمكن أن يكون هذا الكلام ذا أهمية أبداً.

قال بوبي: أظن أنك على حق.

ثم حول انتباهه بنشاط متجدد إلى اللعبة، ولكن المسألة لم تنصرف عن ذهنه حقيقة. كانت نقطة صغيرة لكنها أقلقته، وشعر بقليل من عدم الارتياح بخصوصها. أحس أنه متأكد أن وجهة نظر فرانكي صحيحة ومعقولة، فالأمر لم يكن ذا أهمية، ولكن ضميره

واصل تأنيبه تأنيباً خفيفاً. لقد أكد أن الرجل الميت لم يقل شيئاً، وهو تأكيد لم يكن صحيحاً. كان الموضوع تافهاً وسخيفاً ولكنه لم يشعر بالارتياح بخصوصه.

أخيراً ونتيجة لنزوة مفاجئة كتب في ذلك المساء رسالة للسيد كايمان قال فيها:

عزيزي السيد كايمان،

تذكرت لتوي بأن صهرك قال شيئاً بالفعل قبل أن يموت. أظن أن الكلمات التي قالها هي "لماذا لم يسألوا إيفانز؟" أعذر لأنني لم أذكر لكما ذلك هذا الصباح، ولكنني لم أهتم بهذه الكلمات في وقتها فغابت عن ذاكرتي تماماً.

المخلص: روبرت جونز

بعد يومين تلقى رداً جاء فيه:

عزيزي السيد جونز،

وصلت رسالتك المؤرخة في السادس من هذا الشهر. أشكرك كثيراً على تكرار كلمات صهري المسكين الأخيرة بمثل هذه الدقة، رغم أنها غير ذات أهمية. كانت زوجتي تأمل أن يكون أخوها قد ترك لها رسالة أخيرة، ومع ذلك أشكرك على ضميرك الحي.

المخلص: ليو كايمان

ولم يستطع بوبي منع نفسه من الشعور بالإحباط.

\* \* \*

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل  
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت  
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية  
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،  
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو  
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

[www.al-ajyal.com](http://www.al-ajyal.com)